

أولاً: ما هو التسبيح



(١) التسبيح هو عمل الملائكة والسمايين ، وغنائهم

* نقرأ في سفر **إشعياء** النبي رؤيته عن التسبيح كعمل الملائكة الدائم قوله : ((في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسي عال ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة باثنين يغطي وجهه وباثنين يغطي رجليه وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض . فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلاً البيت دخانا)) (إش ٦ : ١-٤) ..

* وينظر معلمنا **داود** النبي بعيني قلبه المفتوحتين ، ويترنم : ((سبحوه يا جميع ملائكته ، سبحوه يا كل جنوده)) (مز ١٤٨ : ٢) ..



* وعند **ميلاد** مخلصنا الصالح ، ((ظهر .. جمهور من الجند السماوي مسبحين الله ، وقائلين : المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة)) (لو ٢ : ١٣، ١٤) ..

* ويخبرنا معلمنا يوحنا الرائي ، أن **الأربعة الحيوانات** غير المتجسدين ((لكل واحد منها ستة أجنحة حولها ومن داخل مملوءة عيوناً ولا تزال نهاراً وليلاً قائلة قدوس قدوس قدوس الرب الإله القادر على كل شيء الذي كان والكائن والذي يأتي)) (رؤ ٤ : ٨) ..

* ويستطرد معلمنا يوحنا الرائي فى شرح تسبيح السمائيين ، ويقول : ((وحيثما تعطى الحيوانات مجداً وكرامة وشكراً للجالس على العرش الحي إلى ابد الأبدىين . يخر **الأربعة والعشرون** شيخاً قدام الجالس على العرش ويسجدون للحي إلى ابد الأبدىين ويطرحون أكاليهم أمام العرش قائلين . أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهي بإرادتك كائنة وخلقت)) (رؤ ٤ : ٩-١١) ..

* وفى رؤية عجيبة أخرى يقول معلمنا يوحنا الرائي : ((ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف . قائلين بصوت عظيم مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة . وكل خليفة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلين للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى ابد الأبدىين)) (رؤ ٥ : ١١-١٣) ..

* ويسجل لنا أيضاً معلمنا يوحنا الرائي فى رؤية أخرى قوله : ((وجميع الملائكة كانوا واقفين حول العرش والشيوخ والحيوانات الأربعة وخرروا أمام العرش على وجوههم وسجدوا لله . قائلين آمين البركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى ابد الأبدىين آمين)) (رؤ ٧ : ١١، ١٢) ..



(٢) التسبيح هو أيضاً غذاءاً لأرواح الأرضيين

* هكذا قال القديس أوغسطينوس : **التسبيح** هو غذاء للروح .

* وهذا ما نشعره ونعياه جيداً في **تسبيحنا** .. ونرى لهفة الناس على الحضور **للتسبحة** .. وفرحهم وتهليلهم ، وكأن أرواحهم كانت جوعى ، وبدأت تأكل وتشبع وتتهلل ، وهذا ما ترنم به داود النبي ، وقال : ((هكذا أباركك في حياتي . باسمك ارفع يدي ، فتشبع نفسي كما من شحم ودسم ، وبشفتي الابتهاج يسبحك فمي)) (مز ٦٣ : ٥،٤) .

* **فالتسبيح** .. هو غذاء لأرواحنا نحن الأرضيين ..

■ اسمعوا يا أحبائي ترنيمة إشعياء النبي : ((إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس . بنفسى اشتهيتك فى الليل . أيضاً بروحى فى داخلى إليك أبتكر)) (إش ٢٦ : ٨،٩) .

■ وتأملوا أيضاً يا أحبائي فى نشيد مرنم إسرائيل الحلو :

((كما يشتااق الأيل إلى جداول المياه هكذا تشتااق نفسى إليك يا الله . عطشت نفسى إلى الله إلى الإله الحي متى أجيء أترأى قدام الله)) (مز ٤٢ : ١،٢) .

((يا الله الهى انت اليك ابكر عطشت اليك نفسى يشتااق اليك جسدي فى ارض ناشفة ويابسة بلا ماء)) (مز ٦٣ : ١،٢) .

((عليك استندت من البطن وأنت مخرجى من أحشاء أمى بك تسبيحى دائماً)) (مز ٧١ : ٦) .

((يمتلئ فمى من تسبيحك اليوم كله من مجدك)) (مز ٧١ : ٨) .

((فى كل يوم أباركك واسبح اسمك إلى الدهر والأبد)) (مز ١٤٥ : ٢) .

(٣) التسبيح هو شركة الأرضيين مع السمائيين فى السماء

(الذى أعطى الذين على الأرض تسبيح السارافيم) القداى الغريغورى

* **التسبيح** على الأرض هو أسمى درجات الصلاة ، لأنه خال من الطلب .. هو شركة مع السمائيين فى السماء ، فبالسبيح تسمو النفس ، وتنتقل من المجال الأرضى إلى المجال السمائى .. حيث تنطلق الروح بخفة وحلاوة لتمثل أمام الله .. وتشارك مع الملائكة فى تسبيحه بتهليل وبهجة لا ينطق بهما ..

* **وفى هذا المعنى تحدث كثير من أبائنا القديسين :**

■ **فقال أحدهم : بالتسبيح** يرتفع الأرضيون إلى السماء ليتحدوا بالسمائيين ، فيزداد ارتباط المؤمن المجاهد بالكنيسة المنتصرة . ويتمتع بحياة النصر والغلبة بفعل التسبيح للملك المسيح الذى غلب وخرج ليغلب .

■ **وقال آخر :** ((إن التسبيح يخرجنا من دائرة الالتفاف حول ظروفنا وصعاب الحياة من حولنا ، لننشغل بحب وتمجيد من مات لأجلنا)) .

■ **وقال أحد الآباء :** ((إن التسبيح يرفع حياة أولاد الله من تراب الانشغال بالفانيات لتجلسهم مع الرب الذى قيل عنه : أنت القدوس الجالس بين تسبيحات إسرائيل)) (مز ٢٢ : ٣٠) .. تأملوا معى يا أحبائى فى كلمات هذه الآية ..

■ **وقال أب آخر :** **التسبيح** هو الوقوف أمام عرش الله لمناجاته ووصف جماله ومجده تشبهاً بطغمت الملائكة القديسين ، لذا نصلى فى القداى الغريغورى ونقول : الذى أعطى الذين على الأرض تسبيح السارافيم .

■ **وقال أحد الرهبان :** **بالتسبيح** تتغذى النفس بجمال النغمات ، وترتفع الروح درجات ودرجات نحو جابلها .. وإذ بالمرء يعلو فوق الرغبات ، وينفصل رويداً رويداً عن ضجيج الأرض .. ليتحد شيئاً فشيئاً مع الأجناد السماوية .

■ **وقال أحد شيوخ الرهبنة :** **بالتسبيح** الروحانى يخرج الصوت البشرى حاملاً ذبيحة النغم على أسمى طبقاته . والمعانى ترتفع وتندرج فى رقتها ومشاعرها حتى تبلغ أوج الإلهام ، فيرتفع معها قلب الإنسان بتلقائية سهلة حتى يواجه الله . وترتفع الجماعة كلها بنفس السهولة ، وبألفة فائقة لحدود البشر حتى تبلغ إلى أعلى درجة للعبادة .. وبعد فترات قليلة من الترتيل المنسجم تبلغ الكنيسة إلى حالة شركة حقيقية مع الجوقات السماوية غير المنظورة . يستطيع الإنسان أن يحسها من الداخل .. وربما فى بعض الأحيان من الخارج .

* أذكر يا أحبائي منذ حوالي ٢٥ سنة فى كنيستنا المحبوبة بملوى أن أحد الأطفال فتح الرب
عيني قلبه ، وكان يرى بعض الرؤى أثناء **التسبحة** :

✠ الملائكة .

✠ السحاب .

✠ ملابس الحاضرين .

إن تسبِحنا على الأرض هو بالحقيقة شركة مع السمائيين فى السماء . . انه تعليق اسمعه من
الكثيرين بعد التسبحة .



- (١) **التسبيح** هو عمل الملائكة والسمائيين ، وغذائهم .
- (٢) **التسبيح** هو أيضاً غذاء لأرواح الأرضيين .
- (٣) **التسبيح** هو شركة الأرضيين مع السمائيين فى السماء .

وأختم كلمتى يا أحبائي بما قاله معلمنا داود النبى :

✠ ((طوبى للساكنين فى بيتك أبدأ يسبحونك)) (مز ٨٤ : ٤) .

✠ ((طوبى للشعب الذى يعرف التسبيح (والهتاف))) .

بنور وجهك يا رب يسلكون

باسمك طول النهار يبتهجون

وبيرك وعدك يرتفعون ((مز ٨٩ : ١٥ ، ١٦)) .